كلية الشريعة والاقتصاد

مخبر الدراسات القانونية والفقهية المقارنة

الحق في الماء والتعايش السلمي العالمي

في ضوء الفقه الإسلامي والتشريعات الدولية والوطنية

حضوريا/عن بعد

يومي 21-22 ربيع الثاني 1447هـ الموافق 13-14 أكتوبر 2025م

مقومات تحقيق التعايش السلمي حول الحق في الماء في ضوء القصص القرآني

Elements for achieving peaceful coexistence regarding the right to water in light of Qur'anic stories

أ.د. عبد الرحمن خلفة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة

ملخص

تعالج هذه المداخلة موضوعا موسوما ب 'مقومات تحقيق التعايش السلمي حول الحق في الماء في ضوء القصص القرآني' لتجيب عن إشكالية رئيسة فحواها ما هي مقومات التعيش السلمي حول الحق في الماء التي عرضها القرآن الكريم وما تجلياتها في ضوء قصصه؟ متوسلا لذلك بالمنهج الاستقرائي والمنهج التاريخي والمنهج التحليلي، عبر ثلاثة مباحث؛ خصصت الأول منهما لبيان مقومات التعايش السلمي حول الحق في الماء في ضوء آيات القرآن الكريم، والمبحث الثاني خصصته لبيان القرآن لمآل الإصلاح وعاقبة الإفساد في علاقتهما بالماء أمنا أو عقابا، والمبحث الثالث خصصته لعرض نماذج للصراع حول الماء وحلولها كما وردت في القصص القرآني، ونختم المداخلة بخاتمة نعرض فيها أبرز النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: مقومات، التعايش السلمي، الحق الطبيعي، الصراع حول الماء، القصص القرآني

Summary

This paper addresses the topic of 'The Elements of Achieving Peaceful Coexistence on the Right to Water in Light of Qur'anic Stories'
to address a key problem revolving around a central question: What are the elements of peaceful coexistence on the right to water presented in the Holy Qur'an, and what are their manifestations in light of its stories? To achieve this, it employs inductive, historical, and analytical approaches.

It is divided into three sections: the first is devoted to explaining the elements of peaceful coexistence on the right to water in light of Qur'anic verses. The second section is devoted to the Qur'an's explanation of the outcome of reform and the consequences of corruption in their relationship with water, whether as security or punishment. The third section is devoted to presenting models of conflict over water and their solutions as presented in Qur'anic stories. We conclude the paper with a conclusion presenting the most prominent findings.
Keywords: Foundations, peaceful coexistence, natural rights, water conflict, Quranic stories

مقدمة

يعد الماء في نظر القرآن الكريم حقا من حقوق الإنسان ترتبط به الحياة وتناط به العبادات والعادات؛ ولما كان بهذه الأهمية الكبرى فقد كان ولا يزال مثار تزاحم بين البشر، وتدافع فيما بينهم باعتباره مصلحة ضرورية؛ وهذا التزاحم قد يكون ذريعة للصراع كما حدث في بعض فترات التاريخ البشري وكما يحدث حاليا، وهذا ما يحول دون تعايشهم السلمي على هذا الكوكب؛ حيث تغدو الحرب أو شهبها ساطعة في كل زمان وفي كل مكان؛ ما يهدد الحق في الحياة ويثير الفتنة ويقوّض الأمن والاستقرار؛ لأن الماء أحد أهم عوامل الاستقرار فلا أمن بدون ماء، ولا استقرار بدون منبع يتدفق منه أو نهر يعبره أو خزان يصدره، ولهذا وجب درء هذا الصراع بتوزيع الماء توزيعا عادلا بين الأمم والشعوب والأفراد.

ولذلك عرض القرآن الكريم نماذج لهذا الصراع التاريخي وبين سبل تفاديه بالوقاية منه أو علاجه إن ظهر، كما بين مآل المتمادي فيه؛ بل يلفت القرآن الكريم النظر إلى أن هذا الحق حق مشترك بين الإنسان وباقي الكائنات الحية التي استمدت حياتها منه كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأنبياء: 30]، ولهذا ينبغي أن لا يكون الماء مثار بينهم.

في ضوء ما سبق تأتي هذه المداخلة الموسومة ب 'مقومات تحقيق التعايش السلمي حول الحق في الماء في ضوء القصص القرآني' لتجيب عن إشكالية رئيسية فحواها ما هي مقومات التعايش السلمي حول الحق في الماء التي عرضها القرآن الكريم وما تجلياتها في ضوء قصصه؟ متوسلا لذلك بالمنهج الاستقرائي الذي ينصب على آيات القرآن الكريم ذات الصلة، والمنهج التاريخي الذي يتتبع الأحداث التاريخية للصراع حول الماء كما وردت في القرآن الكريم ومدونات أصحاب السير، والمنهج التحليلي الذي ينصب على بيان تلكم المقومات بعد استخلاصها، وقد وضعت لذلك خطة قسمت بموجبها المداخلة إلى ثلاثة مباحث؛ خصصت الأول منهما لبيان مقومات التعايش السلمي

حول الحق في الماء في ضوء آيات القرآن الكريم، والمبحث الثاني خصصته لبيان القرآن لمآل الإصلاح وعاقبة الإفساد في علاقتهما بالماء أمنا أو عقابا، والمبحث الثالث خصصته لعرض نماذج للصراع حول الماء وحلولها كما وردت في القصص القرآني، ونختم المداخلة بخاتمة نعرض فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها وتوصياتها؛ وذلك وفق ما يأتي:

المبحث الأول–مقومات التعايش السلمي حول الحق في الماء في ضوء آيات القرآن:

من خلال استقراء آيات القرآن الكريم نجد أن القرآن الكريم قد أسّس لثلاث مقومات أساسية لتحقيق التعايش السلمي حول الماء وسد ذريعة الصراع عليه وضمان حق كل كائن فيه؛ وتعد هذه المقومات مسلمات على شكل قواعد كلية آمرة لا يجوز مصادرتها أو تجاوزها، وهي:

أولا–الماء حق طبيعي مشترك بين كل الكائنات

لقد حفل القرآن الكريم بآيات كثيرة تؤكد بمنطوقها ومفهومها، عبارة وإشارة على أن الماء حق من الحقوق الطبيعية المشتركة بين مختلف الكائنات لاسيما الحية؛ التي جعلت منه؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء 30]، وقوله تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ). [سورة النور، آية: 45]؛ ففي ضوء هذه الحقيقة الكونية أكدت آيات القرآن الكريم أن الماء أُنزل لتستفيد منه كل الكائنات الحية على حد سواء.

من ذلك حديث القرآن عن إنزال الماء لصالح الإنسان العاقل ومنفعته، ليستعمله في أغراضه ومصالحه التعبدية والعادية، من طهارة وشرب وعلاج وغيرها من ضروب الانتفاع وصوره؛ فقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل 10] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات27]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر 13]، وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر 22]، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (69)﴾ [الواقعة]. وغيرها من عشرات الآيات الدالة على ذلك.

وهذا يقتضي أن يكون الناس شركاء في الثروة المائية، وأن لا يحرم أيّ بشر من حقه في الماء من حيث كونه بشرا بغض النظر عن دينه أو لونه أو جنسه أو لغته أو موطنه، أو غيرها من الفوارق الاجتماعية والطبيعية؛ لأن هذا الحق حق طبيعي يترتب عليه الحق في الحياة، وكل حرمان لأي فرد أو فئة أو جماعة منه يعد انتهاكا للقانون الطبيعي وانتهاكا للشراكة التي تربط بين الناس في هذا الحق، وجريمة إنسانية تأباها الفطر السليمة والأديان الصحيحة والشرائع الوضعية المتفق عليها بين الأمم الشعوب والجماعات، ويحق لك إنسان التوسل بكل السبل القانونية والطبيعية للحصول على حقه في الماء سواء كانت سبلا سلمية وهي الأساس أو سبلا حربية تدرج في باب الحق في الدفاع عن الحياة وحق البقاء؛[1] ولذلك ترى المفوضية السامية لحقوق الإنسان والحق في المياه والصرف الصحي أنه ينبغي

1. يحصر الفيلسوف توماس هوبز الحقوق الطبيعية في الأنواع الآتية: (1) حق البقاء أو المحافظة على الذات: ويرى أنه لا يوجد أي قانون أو فكرة تمنع الإنسان على أن يتخلى على حياته. (2) حق المحافظة على الذات باستعمال كل الوسائل الضرورية التي تكفل تحقيق هذه الغاية، فالحق الثاني يعبر عن الوسيلة، وشرطها أن تكون ضرورية (3) حق الإنسان في تقرير أنواع الوسائل الضرورية التي تكفل له تحقيق الغاية وكل إنسان أدرى أي الوسائل

(—تماشيا وأهداف التنمية المستدامة– أن لا يُنظر إلى المياه كمورد طبيعي ينبغي إدارته واستخدامه فحسب، بل كحق أساسي من حقوق الإنسان يحق لجميع الناس التمتع به من دون أي تمييز) [2]، ورأت (أن الوصول إلى مياه الشرب وخدمات الصرف الصحي بطريقة مأمونة وبأسعار ميسورة وكافية هو حق أساسي من حقوق الإنسان. ويعدُّ ذلك مسألة ضرورية لاستدامة سبل عيش سليمة والحفاظ على كرامة الناس. ويعتبر حق الإنسان في الحصول على المياه وخدمات الصرف الصحي أساسياً للقضاء على الفقر وبناء مجتمعات سلمية ومزدهرة وضمان' شمل الجميع من دون أي استثناء' في الطريق إلى تحقيق التنمية المستدامة. ويلزم القانون الدولي لحقوق الإنسان الدول على العمل باتجاه تحقيق الوصول الشامل إلى المياه وخدمات الصرف الصحي للجميع، من دون أي تمييز مع إعطاء الأولوية إلى الأشخاص الأشد حاجة إليها) [3]، ووضعت خمسة عناصر أساسية للحق في الحصول على المياه وخدمات الصرف الصحي، وهي: التوافر؛ وإمكانية الوصول؛ والقدرة على تحمل الكلفة؛ والجودة والسلامة، والمقبولية. وذا يتماشى ما قررناه هنا ويتماشى ومقتضيات النصوص الشرعية التي أوردناها سابقا[4].

ثم حديث القرآن الكريم عن إنزال الماء لفائدة غير العاقل من سائر المخلوقات الحية من جماد ونبات وحيوان؛ لا فرق في حقها في الماء بينها وبين الإنسان العاقل الذي سخرت له؛ فقال الله تعالى في شأن الجماد والأرض الموات: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت 39]، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج5]، وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[النحل: 65]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة 164].

وحديث القرآن الكريم عن حق النبات في الماء الذي خلق منه؛ كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة 27]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ

أنجع للمحافظة على حياته (4) حق الملكية: حيث يعتقد أن من حق أي إنسان أن يمتلك أي شيء، والأفراد متساوون طبيعيا في الحقوق. ويرى توماس هوبز أن هذه الحقوق موجودة لدى كل إنسان باعتراف العقل، بوجودها؛ وهي حق الحياة، وحق البقاء باستعمال الوسائل الضرورية وحق الملكية وحق تقرير وسائل العيش التي تبعد الخطر، وه حقوق فطرية غير مكتسبة منحت المساواة لجميع الناس وحقهم في ممارستها بكل حرية، انظر: أنسام السوداني، فلسفة حقوق الإنسان، دار الرافدين، بيروت، ط2، 2017م، صص 82-84

[2]– الأمم المتحدة، حقوق الإنسان، مكتب المفوض السامي، https://www.ohchr.org/ar/water-and-sanitation

[3]– نفسه

[4]– نفسه

(28)﴾ [فاطر] وقوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12)﴾ [القمر]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: 63]، وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: 60]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأنعام: 99] وغيرها من الآيات ذات الصلة.

وحديث القرآن الكريم عن حق سائر الحيوانات في الماء؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48) لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾[الفرقان: 49] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[البقرة: 164]، وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾[سورة الشمس: 13]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (54)﴾[سورة طه].

فهذه الآيات وغيرها تؤكد أن الماء حق لكل كائن لا يجوز حرمانه منه؛ وهو من الحقوق المشتركة بين الكائنات الحية خصوصا، يرتبط بالحقوق الطبيعية التي توجد مع الكائن الحي لحظة وجوده ولا تكتسب بعد ذلك، لأنها ترتبط ارتباط شرطيا كليا بالحياة، فتنعدم الحياة بانعدام هذا الحق وتوجد بوجوده، واستفادة الكائنات الحية غير الحيوانية بالماء يستلزم بالضرورة استفادة الإنسان وسائر الدواب من ذلك؛ لأنها سخرت له، ولأن إحياء الجماد وإحياء الأرض الميتة، وما يبث فيها بعدئذ من نبات الزروع والثمار يعد رزقا للإنسان والدواب، فهي تحيا بحياة هذه المخلوقات؛ قال السعدي في تفسير الآية السابقة [الأنعام 99]: (وهذا من أعظم مننه العظيمة، التي يضطر إليها الخلق، من الآدميين وغيرهم، وهو أنه أنزل من السماء ماء متتابعا وقت حاجة الناس إليه، فأنبت الله به كل شيء، مما يأكل الناس والأنعام، فرتع الخلق بفضل الله، وانبسطوا برزقه، وفرحوا بإحسانه، وزال عنهم الجدب واليأس والقحط، ففرحت القلوب، وأسفرت الوجوه، وحصل للعباد من رحمة الرحمن الرحيم، ما به يتمتعون وبه يرتعون، مما يوجب لهم، أن يبذلوا جهدهم في شكر من أسدى النعم، وعبادته والإنابة إليه، والمحبة له)[5]، وهو ما يؤكده قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (33)﴾[سورة النازعات: 30].

[5]- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الحديث، القاهرة، ط1426هـ/2005م، 267/7.

ثانيا–حظر إفساد الماء أو هدره

مادام الماء كما رأينا ضرورة حياة وحقا طبيعيا مشتركا بين كل الكائنات لاسيما الحية منها، وليس مجرد حق إنساني؛ لذلك فإن حق الاستفادة منها لا يقتصر على البشر بل يتعداهم إلى كل الكائنات الحية في البر والجو والبحر، ولما كانت الاستفادة منها في قوام الحياة واستمرارها لا تتأتى إلا بالحصول عليه صافيا نقيا، قابلا للشرب والانتفاع، فقد وجبت المحافظة عليه على هذه الصفة، وعدم تعريضه لكل ما من شأنه أن يزيلها، عنه فيفقده صلاحيته للإنسان وسائر الكائنات الحية؛ فيغذو ماء ملوثا أو نجسا ضارا بمن يستعمله؛ يعرّض حياته للخطر؛ بل يقوّض الحياة برمتها على هذه الأرض ويلحق بها الفساد بعد أن أصلحها الله تعالى، وأودع فيها كل ما يجعلها صالحة للعيش من عناصر طبيعية؛ على رأسها الماء أساس الحياة ومصدرها؛ أو يفرّط في استعماله فيسرف فيه أو يبذره حتى ينضب أو تختل به المقادير والموازين، لذلك حرم الله تعالى الإفساد في الأرض في كل مشمولاتها البرية والبحرية والهوائية؛ فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[سورة الأعراف: 56] والإفساد هنا شامل للجوانب المادية والأدبية سواء بسواء؛ قال القرطبي: (أنه سبحانه نهى عن كل فساد قل أو كثر بعد صلاح قل أو كثر. فهو على العموم على الصحيح من الأقوال. وقال الضحاك: معناه لا تغوروا الماء المعين، ولا تقطعوا الشجر المثمر ضرارا. وقد ورد: قطع الدنانير من الفساد في الأرض)[6] وقال البغوي: ((وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) أي لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله، وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي. وقال عطية: لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم. فعلى هذا معنى قوله: "بعد إصلاحها" أي: بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب)[7]، وقال ابن عاشور: (والأرض هنا هي الجسم الكروي المعبر عنه بالدنيا، والإفساد في كل جزء من الأرض هو إفساد لمجموع الأرض) [8]، وقال أيضا: (والمراد بالأرض هذه الكرة الأرضية بما تحتوي عليه من الأشياء القابلة للإفساد من الناس والحيوان والنبات وسائر الأنظمة والنواميس التي وضعها الله تعالى لها، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[سورة البقرة: 205])[9] وقال الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم: 41]

كذلك نهى الله تعالى عن الإسراف والتبذير باعتبارهما مظهرين من أخطر مظاهر الإفساد في الأرض؛ لاسيما في علاقتهما مع الماء الذي يعد ثروة طبيعية؛ أودعها الله تعالى في الأرض وأنزلها من السماء بمقدار، وكل إسراف يطول

---

[6]- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عماد زكي البارودي، خيري سعيد، المكتبة التوفيقية القاهرة، د.ت، ط1، 1427هـ/2006م، 7/185-186.

[7]- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، معالم التنزيل، حققه محمد النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، ط1409هـ، 238/8.

[8]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ط1984، 174/8

[9]- ابن عاشور، نفسه، 285/1

هذه الثروة أو تبذير ينصب عليها سيؤديان حتما إلى نضوبها وتقليل حظ الكائنات الحية منها؛ لاسيما الكائن البشري الذي يحتاج لماء أكثر نقاء للشرب وأكثر طهارة للعبادة، فقال الله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[الأعراف: 31]،ونهى عن التبذير فقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[الإسراء: 27] فالإسراف والتبذير هذر لثروة المائية في الأرض.

المبحث الثاني–بيان القرآن لمآل الإصلاح وعاقبة الإفساد في علاقتهما بالماء أمنا أو عقابا

إن نعمة الماء كغيرها من النعم تفتقر لشكر المنعم ودوام الثناء عليه وتتطلب الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية وآدابها في استغلاله؛ حتى تدوم ويعيش الإنسان بها في حياته آمنا مطمئنا في سلم ورفاه؛ وقد بين القرآن الكريم أن لهذه النعمة ارتباطا كبيرا بأخلاق الناس ومدى التزامهم بما أمروا بالالتزام به على مستوى العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات؛ فالتزامهم بذلك مظنة جلبها ودوامها، والعيش في سلم وأمن دائمين على هذه الأرض، فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف 96]، وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود52]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن 16] ففي هذه الآيات وغيرها من آي القرآن الكريم ذات الصلة تأكيد جلي على ارتباط تدفق نعمة الماء ودوامها بمدى استقامة الناس على هذه الأرض وما تقتضيه هذه الاستقامة من توحيد وتقوى وعبادة واستغفار، ولذلك حذّر الله تعالى الناس من أي اعتقاد يخالف مقتضيات الاستقامة لاسيما الشرك بالله تعالى بعد أن ذكرهم بنعمة إنزال الماء؛ فقال الله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[سورة البقرة: 22]، فمادام الناس على الاستقامة فإن نعمة الماء دائمة الحضور متواصلة النزول.

لكن إن وقع الإفساد في الأرض بأي ضرب من ضروب الفساد؛ ماديا كان أو معنويا؛ فإن العاقبة حينئذ تكون وخيمة؛ إذ لا شك في أن الإقدام على إفساد الماء تلويثا وإسرافا وتبذيرا يعد من أعظم مظاهر الفساد في الأرض، إن لم يكن أعظمها في جانبها المادي؛ لأن الماء عنصر الحياة ومناطها، ووجوده ضروري لاستمرار حياة كل الكائنات فلا يجوز حظره عنها أو تلويثه لها أو إنضابه؛ فهذا إفساد مباشر للماء مصدر الحياة، وهناك إفساد غير مباشر له من خلال الإفساد الأدبي المعنوي بالكفر والشرك والضلال والانحراف؛ لأنه مظنة جلب عقاب الله تعالى.

وقد سلك القرآن الكريم في بيان ذلك مسلكا متدرجا ليعطي للمقصّر فرصة التدارك؛ فحثه ابتداء على الاعتبار والتدبر والتعقل والتذكر؛ فختمت آيات كثيرة ورد فيه ذكر نعمة إنزال الماء بما يبين ذلك؛ على غرار قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[الزمر: 21]، وقوله: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية 5]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ

لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[الروم: 24]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[النحل: 65]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 63]، وقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد4] ففي كل هذه الآيات وغيرها دعوة للتدبر والتعقل والتفكر، وهي تحمل في ثناياها ومراميها ترغيبا وترهيبا، تبشيرا وإنذارا أولبين من الله تعالى، قبل أن يحق عذابه على من لم يتعظ ولم يتدبر ولم يسلك سبيل الاستقامة في هذه الدنيا مع المؤمنين.

وأما المسلك الثاني فهو مسلك الوعيد: حيث حذر الله تعالى فيه الناس من مغبة رفع هذه النعمة أو جعلها غير صالحة للشرب والانتفاع؛ فأخبر اله تعالى عباده أولا أنه قادر على الذهاب بنعمة الماء نهائيا في أي وقت رغم حاجتهم لها وقيام حياتهم عليها؛ فقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾[المؤمنون: 18]، قال السعدي: (((وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً)) يكون رزقا لكم ولأنعامكم بقدر ما يكفيكم، فلا ينقصه، بحيث لا يكفي الأرض والأشجار، فلا يحصل منه المقصود، ولا يزيده زيادة لا تحتمل، بحيث يتلف المساكن، ولا تعيش معه النباتات والأشجار، بل أنزله وقت الحاجة لنزوله ثم صرفه عند التضرر من دوامه، ((فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ)) أي: أنزلناه عليها، فسكن واستقر، وأخرج بقدرة منزله، جميع الأزواج النباتية، وأسكنه أيضا معدا في خزائن الأرض، بحيث لم يذهب نازلا، حتى لا يوصل إليه، ولا يبلغ قعره، ((وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ)) إما بأن لا ننزله، أو ننزله فيذهب نازلا لا يوصل إليه، أو لا يوجد منه المقصود منه، وهذا تنبيه منه لعباده أن يشكروه على نعمته، ويقدروا عدمها، ماذا يحصل به من الضرر)[10].

ثم حذرهم ثانية من جعلها عصية الاستخراج بعيدة الغور صعبة المنال؛ فقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: 30]، والماء الغور هو الماء الغائر البعيد في أعماق الأرض؛ قال البغوي: ((قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا)) غائرا ذاهبا في الأرض لا تناله الأيدي والدلاء. قال الكلبي ومقاتل: يعني ماء زمزم ((فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ)) ظاهر تراه العيون وتناله[الأيدي] والدلاء. وقال عطاء عن ابن عباس: معين أي جار)[11]، وقال السعدي: (ثم أخبر عن انفراده بالنعم، خصوصًا، بالماء الذي جعل الله منه كل شيء حي فقال: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) -أي: غائرًا (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) تشربون منه، وتسقون أنعامكم وأشجاركم وزروعكم؟ وهذا استفهام بمعنى النفي، -أي: لا يقدر أحد على ذلك غير الله تعالى) [12]، لاسيما وأن الناس لن يستطيعوا مهما حاولوا تخزين كل الماء المنزل لاستغلاله وقت الحاجة، ليستغنوا عن الإنزال وتفجير الأرض بالينابيع؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[الحجر: 22].

[10]- السعدي، مصدر سابق، 595/18

[11]- البغوي، مصدر سابق، 181/29.

[12]- السعدي، مصدر سابق، 976/29

وتحذيرهم ثالثة من تغيير طبيعة الماء الأصلية الفطرية بجعله ماء مالحا غير صالح للشرب؛ إذ أن الماء الصالح للشرب من طبيعته أن يكون عذبا زلالا؛ فإن فقد هذه الصفة فقد صلاحيته للشرب؛ ولهذا لم تغن البحار والمحيطات الناس رغم كثرتها عن الأمطار ومجاري المياه العذبة في الأرض من ينابيع وأنهار ووديان، لأن مياه البحار والمحيطات مالحة تمجها الأذواق السليمة؛ فلا تصلح للشرب والسقي، ولا تعوض الماء العذب ما لم تخضع لتحلية مسبقة بتقنيات وأجهزة متطورة وأنابيب جر ومضخات وغيرها من الوسائل التي تستهلك وقتا وجهدا وأموالا طائلة ورقابة متواصلة، فقال الله تعالى:﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70)﴾[سورة الواقعة]، قال الشنقيطي: (تضمنت هذه الآية الكريمة امتنانا عظيما على خلقه بالماء الذي يشربونه، وذلك أيضا آية من آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته وشدة حاجة خلقه إليه، والمعنى: أفرأيتم الماء الذين تشربون، الذي لا غنى لكم عنه لحظة، ولو أعدمناه لهلكتم جميعا في أقرب وقت: ((أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ))، والجواب الذي لا جواب غيره – هو أنت يا ربنا، هو منزله من المزن، ونحن لا قدرة لنا على ذلك . فيقال لهم: إذا كنتم في هذا القدر من شدة الحاجة إليه تعالى فلم تكفرون به وتشربون ماءه وتأكلون رزقه وتعبدون غيره. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من الامتنان على الخلق بالماء وأنهم يلزمهم الإيمان بالله وطاعته شكرا لنعمة هذا الماء .. وقوله هنا: ((لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ))، أي لو نشاء جعله أجاجا لفعلنا، ولكن جعلناه عذبا فراتا سائغا شرابه، وقد قدمنا في سورة الفرقان أن الماء الأجاج هو الجامع بين الملوحة والمرارة الشديدتين)[13]. وقال السعدي (ومن نعمته تعالى أن جعله عذبا فراتا تستسيغه النفوس، ولو شاء لجعله ملحا أجاجا مكروها للنفوس لا ينتفع به)[14]

وأما المسلك الثالث: فهو بيان عاقبة من لم يشكر هذه النعمة ولم يؤد مقتضاها من الاستقامة والتوحيد؛ سواء بتحذير إلهي مباشر أو من خلال عرض قصص الأمم السابقة وكيف كانت عاقبتها؛ حيث يكون الماء سببا للعقاب ووسيلة له؛ فقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام6]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف 96]

وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك بقوم سبأ وما حل بهم من عقاب رباني جراء كفرهم وجحودهم، بعد أن كانوا في نعمة عظيمة سببها الأساس الماء الذي يتدفق بانتظام من سد مأرب، قبل أن ينقلب الحال ويغدو الماء ذاته مصدر عذاب وتشرد بتسربه ابتداء أثناء انهيار السد، ثم بنضوبه بعد أن نفذ الماء؛ فقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا

[13]- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، دار الفضيلة، الرياض، دار الهدي النبوي، مصر، ط1، 1426هـ/2005م، ص 1477.

[14]- السعدي، مصدر سابق، 929.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (18) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19)﴾[سبأ]، وقد أورد المؤرخون وكتاب السير قصة قوم سبأ ونكبتهم التاريخية وما حل بشكل مفصل؛ خلاصة ما ورد بشأنهم كما قال ابن كثير: (ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف من المفسرين وغيرهم أن سد مأرب كان صنعته؛ أن المياه تجري من بين جبلين فعمدوا في قديم الزمان فسدوا ما بينهما ببناء محكم جدا حتى ارتفع الماء فحكم على أعالي الجبلين، وغرسوا فيهما البساتين والأشجار المثمرة الأنيقة، وزرعوا الزروع الكثيرة. ويقال كان أول من بناه سبأ بن يعرب، وسلط إليه سبعين واديا يفد إليه، وجعل له ثلاثين فرضة يخرج منها الماء، ومات ولم يكمل بناؤه فكملته حمير بعده وكان اتساعه فرسخا في فرسخ، كانوا في غبطة عظيمة وعيش رغيد وأيام طيبة حتى ذكر قتادة وغيره أن المرأة كانت تمر بالمكتل على رأسها فيمتلئ من الثمار ما يتساقط فيه من نضجه وكثرته، وذكروا أنه لم يكن في بلادهم شيء من البراغيث ولا الدواب المؤذية لصحة هوائهم وطيب فنائهم.. فلما عبدوا غير الله، وبطروا نعمته، وسألوا بعد تقارب ما بين قراهم، وطيب ما بينها من البساتين، وأمن الطرقات سألوا أن يباعد بين أسفارهم، وأن يكون سفرهم في مشاق وتعب، وطلبوا أن يبدلوا بالخير شرا.. قال غير واحد: أرسل الله على أصل السد الفار وهو الجرذ، ويقال: الخلد. فلما فطنوا لذلك أرصدوا عندها السنانير فلم تغن شيئا إذ قد حم القدر، ولم ينفع الحذر كلا لا وزر فلما تحكم في أصله الفساد سقط وانهار فسلك الماء القرار فقطعت تلك الجداول والأنهار، وانقطعت تلك الثمار، وبادت تلك الزروع والأشجار، وتبدلوا بعدها برديء الأشجار والأثمار .. إنما نعاقب هذه العقوبة الشديدة من كفر بنا وكذب رسلنا، وخالف أمرنا، وانتهك محارمنا، وقال تعالى: ((فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ)) وذلك أنهم لما هلكت أموالهم، وخربت بلادهم احتاجوا أن يرتحلوا منها، وينتقلوا عنها فتفرقوا في غور البلاد ونجدها، أيدي سبأ شذر مذر ..) [15]. فهكذا تكون عاقبة كل من جحد نعمة الله تعالى ولم يؤد شكرها بالاستقامة، بعد تذكير الله تعالى له وتحذيره، وهي سنة الله تعالى المطردة في الأمم لا تبديل لها.

المبحث الثاني: سبل تحقيق التعايش السلمي من خلال نماذج قرآنية:

من خلال استقراء آيات القصص القرآن الكريم نجد أن القرآن الكريم يعرض ثلاثة نماذج من الصراع حول الماء: أولها: صراع البشر مع الطبيعة من خلال عرض قصة ناقة الله تعالى مع قوم صالح، وثانيها: صراع الأمم فيما بينها من خلال عرض قصة استسقاء موسى لقومه وقد كانوا أناسا شتى بقبائل مختلفة، وثالثها: صراع أبناء الأمة الواحدة من خلال قصة موسى مع ابنتي شعيب في مدين، وفي كل هذه القصص يعرض القرآن الكريم محل النزاع ثم يعرض الحل الذي سار عليه الأنبياء والرسل لحله وتحقيق التعايش، سواء بحلول استباقية تقتضي توزيع الماء توزيعا عادلا

---

[15]- ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا، البداية والنهاية، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الجيزة، ط1، 1417هـ/1997م، 3 / 110-112.

منفصلا حيث يكون لكل قوم سقياهم دون أن ينازعهم فيها أحد على غرار ما فعل موسى مع قومه حيث قال الله تعالى: ((﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[البقرة: 60]، وقد قال الرازي في السؤال السادس أثناء تفسيره لهذه الآية: (ما الحكمة في جعل الماء اثنتي عشرة عيناً؟ والجواب: أنه كان في قوم موسى كثرة والكثير من الناس إذا اشتدت بهم الحاجة إلى الماء ثم وجدوه فإنه يقع بينهم تشاجر وتنازع وربما أفضى ذلك إلى الفتن العظيمة فأكمل الله تعالى هذه النعمة بأن عين لكل سبط منهم ماء معيناً لا يختلط بغيره والعادة في الرهط الواحد أن لا يقع بينهم من التنازع مثل ما يقع بين المختلفين)[16]، وفي التفسير الوسيط إشارة إلى المعنى ذاته: (أي قد علم كل ناس من الأسباط محل شربهم من تلك العيون، حتى لا يحدث خلاف بينهم على الماء، فهم أهل خلاف وشقاق)[17]، فقد تبنى موسى عليه والسلام نظاما وقائيا استباقيا وزع بموجبه الماء توزيعا مكانيا؛ فجعل لكل أناس مشربهم في مكان لوحدهم لا يشاركهم فيه غيرهم؛ حتى لا يحصل أي احتكاك قد يفضي إلى تزاحم ونزاع.

أو من خلال إقرار التنافس النزيه بين أبناء القوم الواحد وفق تراتبية معينة حيث يسقي الجميع ويأخذ حصته من السقي ولو بعد حين؛ عن طريق نظام التناوب في الزمان ذاته وفي المكان ذاته، على غرار ما ذكره الله تعالى في قصة موسى مع ابنتي شعيب؛ حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24)﴾ [القصص: 24].

ويمكن الاستفادة من هذه الإرشادات القرآنية للحفاظ على التعايش السلمي بين الدول والأقوام أو بين أبناء الأمة الواحدة، وذلك بإحداث اتفاق دولي على تقاسم المياه المشتركة بحصص معينة؛ حيث لا يغمط حق أحد أو تصادر حصته، فتكون الاستفادة دائمة مستمرة باستمرار تدفق الماء، أو اعتماد نظام التناوب في الاستفادة منه داخل أبناء الإقليم الواحد أو المدينة الواحدة.

كما يعرض القرآن الكريم أنموذجا آخر مختلفا نوعا ما وهو صراع الإنسان مع الطبيعة؛ فقد سبق أن بينا أن الماء حق مشترك بين مختلف الكائنات لاسيما الحية منها، ولا يجوز حرمان أي كائن منه، وكل غمط لحق أي كائن يعد انتهاكا للعدالة وتخريبا للتعايش السلمي في الطبيعية، وتعريض الحياة على هذه الأرض لخطر الزوال، ولا يقتصر صراع الإنسان مع الطبيعة على مجرد حرمان بعض الكائنات الحية من حقها في الماء؛ بل يتعدى ليشمل كل محاولة لإفساد الماء أو تلويثه بأي طريقة بيولوجية أو كيميائية أو غيرها من الطرق، أو هدره باعتباره طاقة طبيعية؛ لأنه في هذه الحال تفقد صلاحيته للشرب من قبل جل الكائنات وتعرض حياتها بالتالي للهلاك، فمن حق هذه الكائنات أن تأخذ حصتها كاملة مع الإنسان من جهة، ومن حقها أيضا أو يظل الماء صافيا نقيا في بيئة نظيفة غير ملوثة ولا مهددة من جهة ثانية.

16- الرازي، مصدر سابق، 104/3.

17- لجنة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تحت إشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، ط3، 1413هـ/1992م، 114/1.

فقد ضرب الله تعالى للبشرية مثلا من صراع الإنسان مع الطبيعة حول الماء من خلال محاولة هذا الأخير منع غيره من الكائنات الحية من حقها الطبيعي في الاستفادة من الماء، وأخذ نصيبها الذي يبقيها به على قيد الحياة دون ضرر أو مشقّة أو عسر، وهو وصراع مفتعل مبني على أنانية مفرطة وغمط لحق العير، وذلك من خلال قصة ناقة الله تعالى مع قوم صالح، فقد وردت قصة ناقة الله مع قوم صالح في مواطن كثيرة من كتاب الله تعالى، وفي هذه الموارد كان الحديث عن الحق المشترك في الماء بينها وبين القوم، وبيان حق كل طرف منه.

وعلى الرغم من أن الله تعالى وضع قاعدة لتقسيم الثروة المائية بين قوم صالح والناقة لتحقيق العدل وضمان حصول كل طرف على حقه في الماء؛ تقوم على أساس زمني؛ حيث يخصص يوم خالص للناقة تشرب فيه لوحدها، ويوم خالص لقوم صالح يشربون فيه لوحدهم دون أن يدنو كل طرف من الآخر أو يزاحمه في يومه؛ فقال الله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[الشعراء: 155] قال السعدي: (فقال صالح هَذِهِ نَاقَةٌ تخرج من صخرة صماء ملساء ترونها وتشاهدونها بأجمعكم ((لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ)) أي تشرب ماء البئر يوما وأنتم تشربون لبنها ثم تصدر عنكم اليوم الآخر وتشربون أنتم ماء البئر) [18]

فهذا هو التوزيع الزمني الذي وضع بينها وبين القوم ومواشيهم؛ حيث يكون التوارد على الأيام؛ يوم لها تحضر فيه بمفردها، ويوم لهم لا تظهر فيه معهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر: 28]. قال ابن عاشور: (وقد جاء في آية سورة الشعراء قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، وهذا مبدأ الفتنة، فقد روي أن الناقة كانت في يوم شربها تشرب ماء البئر كله فشحوا بذلك وأضمروا حَلْدَها عن الماء، فأبلغهم صالح أن الله ينهاهم عن أن يمسوها بسوء، والمحتضر بفتح الضاد اسم مفعول من الحضور وهو ضد الغيبة. والمعنى: محتضر عنده فحذف المتعلق لحضوره. وهذا من جملة ما أمر رسولهم بأن ينبئهم به، أي لا يحضر القوم في يوم شرب الناقة، وهي بإلهام الله لا تحضر في أيام شرب القوم. والشِّرب بكسر الشين: نوبة الاستقاء من الماء) [19]

وفي تفسير القرطبي: (كل شرب محتضر الشرب –بالكسر –الحظ من الماء؛ وفي المثل: (آخرها أقلها شربا) وأصله في سقي الإبل، لأن آخرها يرد وقد نزف الحوض. ومعنى محتضر أي يحضره من هو له؛ فالناقة تحضر الماء يوم وردها، وتغيب عنهم يوم وردهم؛ قاله مقاتل. وقال مجاهد: إن ثمود يحضرون الماء يوم غبها فيشربون، ويحضرون اللبن يوم وردها فيحتلبون) [20]، وقال: (ونبئهم أي أخبرهم أن الماء قسمة بينهم أي: بين آل ثمود وبين الناقة، لها يوم ولهم يوم، كما قال تعالى: ((لها شرب ولكم شرب يوم معلوم)). قال ابن عباس: كان يوم شربهم لا تشرب الناقة شيئا من الماء وتسقيهم لبنا وكانوا في نعيم، وإذا كان يوم الناقة شربت الماء كله فلم تبق لهم شيء) [21]

---

[18]– السعدي، مصدر سابق، 651/19.

[19]– ابن عاشور، مصدر سابق، 201/27

[20]– القرطبي، مصدر سابق 109/17.

[21]– القرطبي، نفسه109/17.

ويعرض الرازي مجمل التفسيرات التي وردت عن سبب هذه التقسيم الرباني للماء بين البشر من قوم صالح وبين الطبيعة ممثلة في ناقة الله؛ فيقول: (أي: مقسوم وصف بالمصدر مرادا به المشتق منه، كقوله ماء ملح وقوله زور وفيه ضرب من المبالغة يقال للكريم: كرم كأنه هو عين الكرم، ويقال: فلان لطف محض، ويحتمل أن تكون القسمة وقعت بينهما؛ لأن الناقة كانت عظيمة وكانت حيوانات القوم تنفر منها ولا ترد الماء وهي على الماء، فصعب عليهم ذلك فجعل الماء بينهما يوما للناقة ويوما للقوم، ويحتمل أن تكون لقلة الماء فشربه يوما للناقة ويوما للحيوانات، ويحتمل أن يكون الماء كان بينهم قسمة يوم لقوم ويوم لقوم، ولما خلق الله الناقة كانت ترد الماء يوما يوما فكان الذين لهم الماء في غير يوم ورودها يقولون: الماء كله لنا في هذا اليوم ويومكم كان أمس والناقة ما أخرت شيئا فلا نمكنكم من الورود أيضا في هذا اليوم، فيكون النقصان واردا على الكل، وكانت الناقة تشرب الماء بأسره، وهذا أيضا ظاهر ومنقول والمشهور هنا الوجه الأوسط، ونقول: إن قوما كانوا يكتفون بلبنها يوم ورودها الماء والكل ممكن ولم يرد في شيء خبر متواتر، والثالث: قطع وهو من القسمة لأنها مثبتة بكتاب الله تعالى، أما كيفية القسمة والسبب فلا وقوله تعالى: ((كل شرب محتضر)) مما يؤيد الوجه الثالث أي كل شرب محتضر للقوم بأسرهم؛ لأنه لو كان ذلك لبيان كون الشرب محتضرا للقوم أو الناقة فهو معلوم؛ لأن الماء ما كان يترك من غير حضور، وإن كان لبيان أنه تحضره الناقة يوما والقوم يوما، فلا دلالة في اللفظ عليه، وأما إذا كانت العادة قبل الناقة على أن يرد الماء قوم في يوم وآخرون في يوم آخر، ثم لما خلقت الناقة كانت تنقص شرب البعض وتترك شرب الباقين من غير نقصان، فقال: ((كل شرب محتضر)) لكم أيها القوم فردوا كل يوم الماء وكل شرب ناقص تقاسموه وكل شرب كامل تقاسموه)[22]

وقد حذر القرآن الكريم قوم صالح من الاعتداء على الناقة أو الحضور للشرب في يوم حضورها: فقال الله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾[الشمس: 13]وقال الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الأعراف: 73]

لذلك؛ فإنه (من هنا كان الصراع بينهم لطمعهم في الماء أن يكون كله لهم لما جاءتهم الناقة تقاسمهم فيه، فهم لما طلبوا الآية كان ظنهم تعجيز صالح عليه السلام، وما ظنوا أن لخلق هذه الآية تبعات ولزوم شرط، بل جاءهم الامتحان، والاختبار في الماء الذي هو عصب حياتهم، لذلك لم تحتمل نفوسهم الظالمة أن تقاسمهم الناقة الماء، على الرغم من أنها كانت تعطيهم بدلاً منه لبناً، فزاحموها سقياها، وجاروا عليها، واعتدوا حتى بلغ بهم غاية الظلم عقرها وقتلها، فكان الماء علاوة على كفرهم سبباً في هذا الفعل الشنيع الذي قاموا به . ... وكان عقاب الله لهم أن أهلكهم؛ وذلك سنة الله في الذين يرسل لهم الآيات والمعجزات فيشاهدونها بأعينهم ثم يكفرونها)[23]

وبقدر ما يكشفه موقف قوم صالح من أخلاقهم وما تخفيه نفوسهم من جشع وغمط وأنانية فإنه يصور حال كثير من النفوس عبر تاريخ البشرية في تعاطيها مع الحقوق المشتركة بينها وبين بني نوعها أو جنسها، أو بينها وبين سائر

---

[22]- الرازي، محمد فخر الدين، تفسير الرازي الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، 1401هـ/1984م، 55/29

[23]- فتحي عبد العزيز العبادسة، الماء في القرآن –دراسة موضوعية–، الجامعة الإسلامية، غزة، 1422هـ/2002م؛ ص 314

من يشاركها هذا الحق من المخلوقات؛ حيث تسعى إلى الاستحواذ عليها والانفراد بالتمتع بها غير عابئة بحقوق غيرها، وما قد يسببه لهم فقدان هذه الحق في حياتهم من مضرة ومشقة وعسر، وهي صفات قد تجبل عليها بعض النفوس وقد تكتسب من المحيط الاجتماعي؛ حيث يتوارى صوت الضمير، وهو ما يحتم وجود رادع من خارج النفس من قانون وقوة قاهرة تفرض احترام الحقوق وقبول الشراكة ليعيش الناس ومحيطهم في أمن وسلام.

خاتمة:

بعد عرضنا لبعض مقومات التعايش السلمي للاستفادة من الماء في ضوء القصص القرآني توصلنا إلى النتائج الآتية:

1- إن من مقومات تحقيق التعايش السلمي وأسسه في ضوء مفاهيم القرآن الكريم أن الماء حق مشترك بين الناس كلهم ابتداء فلا يجوز حرمان أي فرد أو جماعة أو أمة أو دولة منه؛ وحق مشترك بين الإنسان وسائر الكائنات لاسيما الحية منها؛ فلا يجوز حرمان أي كائن من حقه في الماء؛ سواء كان حيوانا أو نباتا أو جمادا.

2- في وضوء ما سبق حرم القرآن الكريم إفساد الماء بمختلف صور الإفساد من تلويث أو هدر أو إسراف أو تبذير أو غيره.

3- إن لإفساد الماء أو عدم أداء شكره الواجب والاستقامة على منهج الله تعالى، عواقب وخيمة عرضها القرآن الكريم تطول الإنسان في الدنيا والآخرة.

4- لقد سلك القرآن الكريم مسلك عدة للتحذير من إفساد الماء أو عدم أداء شكره منها (أولا)-: الحث على الاعتبار والتدبر والتعقل والتذكر؛ وثانيا-مسلك الوعيد: حيث حذر الله تعالى فيه الناس من مغبة رفع هذه النعمة أو جعلها غير صالحة للشرب والانتفاع؛ فأخبر الله تعالى عباده أولا أنه قادر على الذهاب بنعمة الماء نهائيا؛ ثم حذرهم ثانية من جعلها عصية الاستخراج بعيدة الغور صعبة المنال؛ وتحذيرهم ثالثة من تغيير طبيعة الماء الأصلية الفطرية بجعله ماء مالحا غير صالح للشرب؛ و(ثالثا) بيان عاقبة من لم يشكر هذه النعمة ولم يؤد مقتضاها من الاستقامة والتوحيد؛ سواء بتحذير إلهي مباشر أو من خلال عرض قصص الأمم السابقة وكيف كانت عاقبتها؛ حيث يكون الماء سببا للعقاب ووسيلة له؛ على غرار ما حل بقوم سبأ، وهي سنة الله تعالى المطردة في الأمم لا تبديل لها.

5- من خلال استقراء القصص القرآني نجد أن القرآن الكريم يعرض ثلاثة نماذج من الصراع حول الماء: أولها صراع البشر مع الطبيعة من خلال عرض قصة ناقة الله تعالى مع قوم صالح، وثانيها صراع الأمم فيما بينها من خلال عرض قصة استسقاء موسى لقومه وقد كانوا أناسا شتى بقبائل مختلفة، وثالثها: صراع أبناء الأمة الواحدة من خلال قصة موسى مع ابنتي شعيب في مدين.

6- في كل هذه القصص يعرض القرآن الكريم محل النزاع ثم يعرض الحل الذي سار عليه الأنبياء والرسل لحله ولتحقيق التعايش، سواء بحلول تتبنى نظام التوزيع الزماني حيث يكون لكل طرف مشارك زمنا مقدرا مسبقا للحصول على نصيبه من الماء، على غرار ما فعله صالح عليه السلام في توزيع ماء الشرب بين ناقة الله

تعالى وقومه، أو بحلول استباقية تقتضي توزيع الماء توزيعا مكانيا منفصلا عادلا؛ حيث يكون لكل قوم سقياهم دون أن ينازعهم فيها أحد؛ على غرار ما فعل موسى مع قومه، أو من خلال إقرار التنافس النزيه بين أبناء القوم الواحد وفق تراتبية معينة حيث يسقي الجميع ويأخذ حصته من السقي بنظام التناوب على غرار ما ذكره الله تعالى في قصة موسى مع ابنتي شعيب.

7- يمكن الاستفادة من هذه الإرشادات القرآنية للحفاظ على التعايش السلمي بين الدول والأقوام أو بين أبناء الأمة الواحدة، وذلك بإحداث اتفاق دولي على تقاسم المياه المشتركة تقسيما مكانيا أو زمانيا بحصص معينة حيث لا يغمط حق أحد أو تصادر حصته، أو اعتماد نظام التناوب في الاستفادة منه داخل أبناء الإقليم الواحد.

8- لا يقتصر صراع الإنسان مع الطبيعة على مجرد حرمان بعض الكائنات الحية من حقها في الماء؛ بل يتعدى ليشمل كل محاولة لإفساد الماء أو تلويثه بأي طريقة بيولوجية أو كيميائية أو غيرها، أو هدره باعتباره طاقة طبيعية، لأنه في هذه الحال تفقد صلاحيتها للشرب من قبل جل الكائنات وتعرض حياتها للهلاك.

9- إن القاعدة القرآنية العظيمة التي ينبغي أن تنبني عليها كل القوانين والاتفاقيات الدولية والإقليمية والوطنية في توزيع الماء وتقسيمه بين الأفراد والجماعات والدول، أو بين الإنسان والطبيعة هي قاعدة ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر: 28]، فلا ضرار ولا ضرار؛ سواء استند التقسيم إلى الزمان أو استند إلى المكان.

10- إن الضمير وحده غير كاف لردع الناس عن الظلم في توزيع الماء وحملهم على تحقيق العدل وضمان حق كل كائن حي؛ لذا وجب وجود قانون ملزم وسلطة تنفيذية رادعة لتحقيق ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

1- الأمم المتحدة، حقوق الإنسان، مكتب المفوض السامي، https://www.ohchr.org/ar/water-and-sanitation
2- أنسام السوداني، فلسفة حقوق الإنسان، دار الرافدين، بيروت، ط2، 2017م
3- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، حققه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، ط1409هـ
4- الرازي، محمد فخر الدين، تفسير الرازي الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، 1401هـ/1984م
5- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الحديث، القاهرة، ط1426هـ/2005م
6- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 1426هـ/2005م
7- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ط1984
8- فتحي عبد العزيز العبادسة، الماء في القرآن –دراسة موضوعية–، الجامعة الإسلامية، غزة، 1422هـ/2002م
9- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عماد زكي البارودي، خيري سعيد، المكتبة التوفيقية القاهرة، ط1، 1427هـ/2006م
10- ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا، البداية والنهاية، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الجيزة، ط1، 1417هـ/1997م
11- لجنة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تحت إشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، ط3، 1413هـ/1992م.